



## حادثة

ما حدث كان في ميدان روكسي بمصر الجديدة بالقاهرة ، الساعة الثانية والنصف بعد ظهر أول أيام عيد الأضحى عام ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠/٣١/١٩٧٩ م . والشمس ساطعة . والميدان يموج بالبشر ، للبعض يسرع الخطى والبعض متمهل ، فالיום عيد . وإشارات المرور تتلون ، وسيارات تقف وأخرى تعبر . ولاح كل شيء في هدوء إلا بعض أصوات السيارات ، وأصوات من البشر تسمع أحيانا .

ثم تمزق الهدوء عندما نادت صيحات عالية من البشر ، فقد دهمت سيارة مسرعة لم تراخ اللون الأحمر ، دهمت رجلا وألقته أرضاً وأمرعت مبتعدة . وكادت تدهم قطعة ساذجة كانت تعبر الطريق ولكنها تنهت فقفزت طائفة إلى مكان آمن . وحطت على بقايا طعام . وكانت تلعن رعونة سائقي اليوم في مواء رافض . ولكنها حطت على طعام تركه الآكلون وقد استمتعوا بوجبة من اللحم شهية على الأرض المخضرة ، والظاهر أن أحدهم شبع أو نسي قطعة لحم كانت من نصيب القطة التي انزوت بها في مكان آمن . واحتفلت هي الأخرى بالعيد .

وابتعد في الميدان ملق وجموع من البشر تهرع إليه ، وأصوات تستنكر . وهذا حقها ، وأصوات تلعن أصحاب السيارات الخاصة ، وهذا ليس من حجةها . واندفع إلى القوم المتكاثرين حول الملقى أمينا

( م ٢ - طفل غاضب ) .

شرطة ، صاحبا ، فانفرج لهما طريق إلى المصاب . مالا عليه ، ثم صبيحتان إلى الجمهور بالافتراق . واتصال لاملسكى من جهاز مع كل منهما . . . . .  
وران صمت قليل ، وإذا بصيحة ثانية من أحد الأمينين بالتفرق . . . . .  
والمسألة سايمة إن شاء الله . . . . .

لست أدري ، ولكننى كنت عابراً فى سبيلى ، ودفعنى بعض الفضول إلى التوقف ، والحادث فى ميدان روكسى ، وهناك دار (سينما) ، وأمامها خلق يرومون رؤية (الفيلم) فى حفل الساعة الثالثة . وكانوا كثرة . ودلقت وسط الجمع ، وسألت ماذا جرى ؟

- رجل يظهر أنه مخمور لم ير السيارة . . . فألقته أرضاً
- بل هذا لم يحدث ، فإذن إشارة المرور تسمح له بالعبور ولكن السيارة الزرقاء لم تحترم الإشارة
- بل كانت صفراء
- لا إنها كانت رمادية اللون . . . لقد رأيتها
- نعم هى سيارة ( ملاكى - القاهرة )
- ياسيد ، لقد كانت سيارة أجرة فيها رجل وسيدتان وكانت تجرى بسرعة وألقت الرجل أرضاً
- يعنى كلامك هذا - أنك تكذب عبنى . . . طيب ، على الطلاق أنها كانت ملاكى
- تطلق زوجتك من أجل معاندة كلامى ؟
- أنا لست متزوجاً

- لا . . . الموضوع ببساطة أن الأستاذ المصلوم كان يعبر الميدان وهو يتطلع إلى [الإعلان الكبير على واجهة دار ( السينما ) فلم يلحظ السيارة المسرعة ، فدهمته . . .

- ربما كان معجباً ( بالفيلم ) وأبظاله وهم ممثلون كبار وهو ( فيلم ) عظيم .

- بل هو ( فيلم ) تافه

- هل شاهدته ؟

- لا ، لم أشاهده ، ولكنها كلها قصص مكررة

- إذن كيف تعطى هذا الحكم ؟

- يا عمي . . . هو أكل عيش ، وكلها ( سينما ) وضحك على العقول . . . قل يا باسط .

وقد استمعت إلى هذا الحوار . : وأكثر منه ، وكل واحد يفتى ويعطى أحكاماً جزافية ، وهناك قطة نعمت بقطعة لحم تركها الآكل ، وهنا جسد على الأرض راقد وهو مصاب ، وهناك أمينا شرطة اتصلا لاسلكيا بالمسئولين .

وقد تسمرت قدامى في مكافى ، ربما لرغبة داخلية في معرفة ماذا يحدث .

وسمعت من بعد ( سارينة ) سيارة إسعاف . فحمدت الله إذ كان الاتصال اللاسلكى سريع المفعول . ووصلت سيارة بيضاء على ظهرها ألوان كهربائية متألثة ، جعلت القوم يحترمونها وابتعدوا أكثر بفضل أوامر أمينا الشرطة . جميل هذا . أما أنا فقد وجدت نفسى اقرب . . . لماذا ؟ لست أدري .

عند ما رأيت وجه المصاب وهم يحماونه على ( نقالة ) إلى السيارة ،  
ت . . . هذا أحمد أنا أعرفه .

صرت في ثانية في بؤرة الاهتمام . وتطلع الجميع إلى ، ورددت ، هذا  
صديقى وزميلى أحمد ، وأنا أعرفه . وانثقت الأرض عن ضابط الشرطة  
مقرباً منى . وجه متجهم صارم فيه تحد . وعدة أسئلة دون فرصة للإجابة .  
ثم قلت : هذا زميلى الأستاذ الدكتور أحمد ، لم أره منذ سنوات طوال  
مرت . وآخر أخبارى عنه أنه يعمل في إحدى جامعات أمريكا أقصد  
الولايات المتحدة الأمريكية .

وصار شىء من الهمس بين الضابط ومن معه . . . ثم شىء من الاحترام  
لى . جميل هذا الذى يحدث . وظهرت القطة الساذجة مقتربة في جرأة بالغة .  
نحو أحمد . . وأبعدوها في استنكار .

وأنا أنظر إلى أحمد وهو اجس الدنيا تمر بي ، ماذا جاء بي إلى هنا في  
هذه اللحظة ؟ شىء ما يجوس بخواطرى . وقد أحسست دغدغة انفعالية .  
تغمر أعصابى وتنساب إلى كل جسمى .

القطة هناك واقفة ومترقبة . وسألت الضابط إذا كان من الممكن أن  
أصحب أحمد المصاب . أجاب : بل يجب . وإلى مستشفى منشية البكرى .  
صار الركب . فهى أقرب مستشفى والرجل ( أحمد ) على سرير وحوله  
أطباء وممرضات ، والعجب أن هذا يوم عيد . ولكن ما زال في الدنيا  
خير . وكشوف طبية ، وأشعة وعينات دم وبول . . . الخ . وأنا موجود  
. . . والقطة دلفت في نعومة إلى حيث كنت ، وتقرّب قدى جلست .  
ونظرت إليها ، فإذا عيناها تستجديان . ربت على جسمها الناعم في هدوء  
فإذا بها جالسة في مرعة معى في اطمئنان .

وسألني ضابط الشرطة أن أصعبه ، وقد مرت معه . قلت له إجابة  
عما سأله :

هو . أحمد أحمد أحمد ، هذا اسمه . . . درسنا سوياً في الجامعة ومعهد  
التربية ، وعملنا مدرسين لسنوات قليلة . سافر بعدها في بعثة إلى الولايات  
المتحدة الأمريكية ، ونال الدكتوراه في التربية . وعاد إلى مصر ، وعملنا  
سوياً ، ثم عاد إلى الولايات المتحدة ، وعمل هناك . . . وانقطعت أخباره  
هنا . وسمعت منذ سنتين أنه صار ذا شأن هناك وأنه أخذ الجنسية الأمريكية  
ولكنه احتفظ بجنسيته المصرية . وقد تزوج من مصرية اسمها شوق وهي  
معه هناك ، وله منها طفلان . . . وله من عقله إنتاج علمي مشرف له  
كأستاذ ، ومشرف لمصر ، إن دنا واحد من أبنائها . وربما جاء إلى مصر  
لزيارة أو لأبحاث . . . لست أدري . وعندما سئلت ، قلت لا أعلم أين  
يسكن ، وكل ما أعلمه عن زوجته شوق أنها كانت زميلة لنا ، وكانا  
متحابين وتزوجا .

وصحبا أحمد ورآني وعرفتي وأمسك بيدي قائلاً إنه بخير وأن زوجته  
في شقة مفروشة هنا في قرب من ميدان روكسي ، وأعطاني العنوان  
وأوصاني أن أكون مترفقاً ورقيقاً عندما أحمل الخبر . كانت شوق طالبة  
الجامعة في الكلية معنا ، الحلوة الأنيقة الذكية الأخت المتعاونة المحاملة . . .  
صاحبة الكرامة والعزة ، القادرة على أن توقف أي فرد عند حده . . .  
إعجاب كبير من الكثير . . . ولكن أحمد طوق قلبها وأشعل وجدانها  
فاختارته لها شريكاً للعمر .

وما كان أممي إلا أن أنقل إليها خبراً غير سار بعد سنوات طوال  
لم أرها . وترددت قبل أن أدق الباب . . . واستجمعت كل الجراءة  
فتح الباب أحمد الصغير ، وسألت عنها ، فإذ بها أممي . ومرت لحظات  
من صمت قطعته في لطفة الترحاب بزميل وصديق عزيز لزوجها . وأنهيت

إليها الخبر بعد معاناة نفسية . . . . . وهي عظيمة في أسئلتها المنطقية العلمية وهي كبيرة وهي تعطي طفليها المعلومات المحدودة التي عرفتها مني ، وهي عاقلة إذ تطلب مني بأمر أن تذهب معي . وعلى الباب وجدت القطة حملتها وأسلمتها إلى أحمد ، ابن أحمد المصاب .

. . . . .

في المستشفى تولت شوق زمام الأمر في كل حزم الحب . وطلبت التقارير الطبية ، واستمعت إلى أقوال الشرطة ، وقد هربت السيارة صاحبة الإصابة ، وليس هذا الآن مهماً . لكن الأمر الهام ماذا نفعل بأحمد ؟ . . . . . كسر في عظام الفخذ ورضوض كثيرة متفرقة ، ونزيف داخلي هناك . . . . . والأمر يتطلب عناية طبية كبيرة الاهتمام والتأثير .

لا أدري لماذا كانت هذه القطة شديدة الانفعال وهي دائماً بين قدي ، ولا أعلم كيف جاءت ، ولكنها جاءت ، والاتصالات مستمرة . . . . . وشوق في أعلى حالات تماسك الانفعالات . إذن فهي مستشفى المعادي . كنت أراقبها وهي ( المايسترو ) في العمل ، كنت أشاهدها المصرية المتحركة . . . . . نفس شوق الطالبة الجامعية والتي أعجبنا بها وأخذها أحمد له . . . . . أراها قوة ، ومثل شوق الملايين ولم تتح لها الفرصة . والمجتمع في تقدمه يتطلب عمول وأيادي هذه الملايين لتعمل مع ملايين الذكور في تعاون لصالح هذا المجتمع . وموقف شوق العاقل عظيم ، وكان لا بد لي أن أسعد بتصرفاتها .

وقد اشتد الأمر بأحمد ، وصارت نذري يخطر مدغم وبناتج أرجو ألا تحدث . تقول لي شوق ونحن في طريقنا إلى المعادي إن أحمد جاء بعد أن درس الموقف التعليمي في مصر . . . . . وله في أمريكا باع طويل وهام في ميدان التربية ، وأراد متطوعاً أن يسهم بعلمه لخير بلده وهو قبل كل شيء .

مصرى ويعشق مصر عشقاً كبيراً . وسوف نعود إليها كل العودة إن آجلاً  
أو عاجلاً . . . . وهو سفير كبير لمصر بعلمه في الأمريكتين الشمالية  
والجنوبية .

.....

وعلى ضفاف النيل بناء شاهق وفي داخله ملائكة رحمة وأجهزة علاج  
ورجال إداريون وفنيون على أعلى المستويات . وكل هذا مبشر بعلاج صادق  
لأحمد . وشوق مطمئنة . وقال قائلون لنا ، هو مصرى أمريكى ومن  
حقه علاج في أمريكا . وقالت : عندما يعجز الطب المصرى . . . وأشك .  
أنه يعجز : : : :

ودفعنا مئات من الجنيهات كبداية . وهذا لا يهم ، ثم محاولات حتى  
استقر أحمد المصاب في حجرة . والأمر عادى في الاهتمام به كريض أو  
كصاب : ولا أدري ماذا حدث بعد أن قلت لواحد ممن كانوا حولى :  
إن المصاب الدكتور أحمد شخصية لها وزنها والأمر يمكن أن يصل إلى  
مستويات عليا تتعدى المستويات العادية . وشوق بجوارى وقالت ولست  
أدري ماذا قالت ، ولكنه يعنى حتمية أكبر في رعاية أحمد .

ولكن الغريب في الأمر أننى سمعت بعد دقائق أن عم أحمد هو وكيل  
وزارة الحربية وأن خاله نائب وزير الصحة !! . . . وانقلبت للدنيا رأساً  
على عقب : : : وحصل في المستشفى ما يمكن أن نسميه بالتعبئة العامة .  
وصارت شوق وأنا محل كل التقدير والاهتمام . . . وأحمد المسجى في آلامه  
هو أيضاً محل الاهتمام . . . . !! ولا ندري كيف جاءت هذه المصلات  
العائلية .

ونقل أحمد إلى حجرة فخمة تطل على النيل العظيم .  
وما زلت موجوداً عند ما حان الوقت أن أرى الأخ أحمد . وكان واعياً .

وعرفني وسألني أسئلة كثيرة عن زملائنا وأين هم ، ولا بد أن يقابلهم . قلت كثير منهم تركونا إلى أراض أخرى فيها خير مادي أكثر . . . وأرى أن بعضهم على حق فقد ضنت الدولة عليهم في الأجور فأثروا أراضي أخرى ، على أن بعضهم يتحملون عبء رفع راية ذات رسالة وعليهم أن يبقوا حيث هم ، وسوف يعود من خرج إذا أراد الله .

قال أحمد : العود أحمد لي ولهم ، وبلدنا في حاجة ماسة إلينا .

وسأل أحمد عن قضية الساعة وهي تطوير التعليم . قلت : خير كبير في هذا العمل ، وخير في التخطيط ، ولكن كل الخير في التنفيذ ، وأنت تعلم الموقف الاقتصادي لبلدنا . . . ونحن في عصر التربية . . . والتربية كما تعلم قوة ، وسابقاً قيل إن المعرفة قوة . وهناك قناعة بضرورة التغيير والتطوير . . . ونقول بل إعادة التشكيل والتنظيم . . . بل يتغير الشكل والمضمون . . . وفي جرأة الوثائق بعلمهم . . . ويجب أن يكون الأمر معروفاً على كل الوزارات . . . أكرر كل الوزارات . لأن التربية لهم كل فرد وهي متغلغلة بالحق والقوة في كل نشاط بشري . . .

ربما ركبت موجة من انفعال صادر عن إحساس صادق ، وأحمد بيتسم ، ولو استطاع لقفز ، ولكن الارتياح كان يقفز من عينيه ، ومن قسما وجهه ممزوجاً بالألم .

ويقول أحمد لزوجته شوق . . . كانت الإشارة لي خضراء ، وبدأت أعبء الطريق ، وهو جزء من الميدان ، وفجأة أحسست بشيء يدفعني في قسوة ، وارتفعت إلى فوق ثم هبطت إلى تحت في آلام كثيرة أحسستها بعد أن استقر بي المقام على أرض الميدان الواسع . وقالت شوق : إن سائقاً أخطأ وعصى قانوناً ، فأصابك ، ولا ذنب لك ، فهذا قدرك ، ولنحمد الله ونسأله الشفاء . . .

وتركتهما ، وجلست ، وأحسست بشيء يداعب قدمي ، إنها هذه القطعة الساذجة المخلصة . . أيضاً . ونطت إلى طالبة في حركتها المداعبة وهي في كنف الأمن والطمأنينة ، وجسمها طرى وشعرها أسود حرير ناعم ، وذيلها يزغرد طرباً . ربما أكون متجاوزاً إذا قلت إن في عينيها تساؤلات عما يحدث وما مصير أحمد . هي جزء من الحادثة ، وربما حدث لها ما حدث لأحمد لولا هذه القفزة الصاروخية التي حطتها على بر الأمان بالقرب من قطعة لحم شبيهة . وربما تقول في سرها . . . إننا معشر الققط لنا سبعة أرواح . . . ثم من حقي أن أكون معكم فأنا شاهدة عيان لما حدث ، ولو استطعتم أدلكم على لون السيارة . . . .

سرحت بسرعة بعيداً إذ خشيت أن تقول في سرها رقم السيارة أيضاً ، ربما كنت أنا أفكر لها ومعها . . . من يلري ؟

خرجت شوق من عند أحمد ، ووجهها فيه حمرة من غيظ وهي تقول : . . . كان لا بد لي أن أقول لهم جميعاً من هو زوجي وأنه لا يمت بصلة قرابة لفلان أو علان وأنه كغيره من أفراد البشر يجب أن ينال ما يمليه شرف المهنة الطيبة من عناية ورعاية . والمال موجود وبوفرة إن كان هذا يعنى شيئاً هاماً . . . . ربما نسيت شوق في غمرة حياتها في مجتمع متقدم بعض الأمور . واقترب منا طبيب يكاد شعر رأسه يشتعل شياً ، ونظارتة سميقة وابتسامته عذبة . قال لها . . . . يا ابنتي ما رأيته من اهتمام مفاجئ ، ومن تصرفات ناس لحم مضالغ خاصة أسرعوا بطرحها والمصاب يتألم ، خطأ ، وأنا اعتذر لخطأ غيري ، فلا تغضبني ، مازال هناك من يقدرون ويعرفون ، فبعض الأطباء نسوا أبو قراط ، ونسوا إنسانية الطب ، وهم قلة قليلة . . . . أحمد إن شاء العلي القدير بخير ، وبعون الله سوف يطمئن إلى الشفاء . . . . والمسألة تحتاج إلى وقت ، وهو الآن ينام وسوف يطول نومه ، وهذا خير له ، وأنها الآن في حاجة إلى الراحة .

... والموقف أياها الطيب الحكيم ؟ . . . سألت شوق ، وجاءها الرد . . . في الغد نجرى العملية لنصلح بإذن الله ما أفسده سائق سيارة ما . في ثانية واحدة كسر في أهد عظاماً تحتاج إلى أسابيع حتى يعاد البناء . . . . . وأقول في داخلي : سهل أن تحطم وصعب أن تبني ، ولو استطعنا أن نقلل من التحطيم والتخريب لصار الأمر غير الأمر .

نظرت إلى القطة الساذجة صاحبة الشعر في فحمة الليل ، والعينين العسليتين ، وكأنما تسأل . . . أين الآن ؟ غريب أمرك أنت أيتها القطة الناعمة ، وأنت دخلت - دون أن أدري - في حياتنا ، هل أنت حقاً ساذجة ؟ أم نحن السذج ؟ وكيف استطعت أن أقرأ أفكارها ؟ . . . . . ماذا جلبت لي يا أحمد ؟ بل ماذا حدث لي ؟

• • •

كنت على موعد مع أشعة شمس الصباح المبكر في لونها الأصفر وهي تدلف إلى الحجرات وأنا أدق باب أحمد<sup>٣٣</sup> . . . . .

... غريب غريب هذا الذي حلمت به - يقول أحمد - أنا موني مساء الأمس ، وطفث في آفاق كثيرة وكثيرة جداً ، ولكن العجب أنه كان معي وورائي رجل أحس أنني أعرفه ، ولكنني لا أعرفه - أحياناً كنت أحس بكفيه على كتفي ، ونحن نصعد جبلاً ونزل ودياناً . لم يفتح فمه بكلمة ، ولم أر مطلقاً عينيه ولا قسمات وجهه . لكنه كان معي ودائماً خلفي في كل خطوة . . . . . هو إحساس غامر ساحق يعتريني ويطلق كل مخاوفي ، بل تشككي وترددى . . . وهو معي هادئ باسم ولا أرى ابتسامته ، مُتفاؤل ولا أرى نظرات عينيه . . . أقسم بالله العلى التقدير أنه كان معي وحوالي . . . . . مُشعاً كل الطمأنينة والإيمان في نفسي . . . كل الأمان ! !  
سعادة لا تعبر عنها الكلمات وارتياح نفسي ينسحب أمامه البيان بوجود

هذا الرجل الغامض . ما يعطيه من إحساس دانيء هو غير دنيوى وليس من نبت الأرض . . . إنه شيء ملائكى - إن صح لى التعبير - ولكنه معى بهدوئه المطمئن وأنا معه بكل ما استطيع من عجزى وضعفى . . . لكن الله معى .

لم أدر ماذا أقول ، ولكن كل خلجة فى أحمد تقول ، وتقول الكثير . إذ ما حدث له فى حادثة سيارة ألقته فى أعلى الفوق ثم إلى أسفل التحت وهشمت بعض عظامه ، ربما فعلت شيئاً فى تيار فكره وهو تحت تأثير منوم ما . ربما فى سياحته فى آفاق بعيدة ومختلفة وفى خوف وهو يرتادها وحده ، صورت له أموراً . . . ومن يدرى ؟

ما حدث لأحمد بعد منوم خفيف ، قد يتطور بعد تخدير كامل لإجراء عمليات جراحية توصف بأنها كبرى . . . وستجرى بعد ساعات قليلة . الأمر الهام أن أحمد كان مستعداً ومتقبلاً وراغباً بكل القناعة . وجاءت شوق ومعها أحمد الصغير وشوق الصغيرة ، ولم تمض إلا لحظات وكنا جميعاً خارج الحجرة ، فقد بدأ العد التنازلى لإجراء هذه العملية أو العمليات .

وماء للنيل ينساب هادئاً ، والأشرع البيضاء تكسو الجوبهاء مع ألهمة الشمس ، والسيارات تغلو مسرعة على الطريق العريض ، والرياح تداعب أغصان الأشجار . . . وجماعة ملثمة فى حجرة العمليات يتناولون جسم أحمد . . . . .

• • •

وجد الكاتب نفسه مقوداً بغير إرادة إلى عالم رحب واسع فى نظام بديع وترنيمه عسليه ، أرضه أمواج من سحب تعلو وتهبط ، تحوطه ألحان باسمة وعبيق مد غدغ فى سرور متغلغل . . . وجسمه ينوب فى احتواءات كلها مودة .

وتلاشى كل شيء مادى حوالى . . . هكذا أحسست وأنا اقترب من أحمد وهو فى الغيبوبة .